

الامامة والسياسة

[211] إلى ما خرجا إليه. فقال ابن الزبير. أتريد أن تباع ليزيد ؟ أرأيت إن بايعناه أيكما نطيع، أنطيعك أم نطيعه ؟ إن كنت مللت الخلافة فاخرج منها وباع ليزيد، فنحن نبايعه، فكثير كلامه وكلام ابن الزبير، حتى قال له معاوية في بعض كلامه: وإني ما أرك إلا قاتلا نفسك، ولكأني بك قد تخطيت في الحباله. ثم أمرهم بالانصراف، واحتجب عن الناس ثلاثة أيام لا يخرج. ثم خرج، فأمر المنادي أن ينادي في الناس، أن يجتمعوا لامر جامع فاجتمع الناس في المسجد، وقعد هؤلاء حول المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه. ثم ذكر يزيد وفضله، وقراءته القرآن، ثم قال: يا أهل المدينة، لقد هممت ببيعة يزيد، وما تركت قرية ولا مدرة (1) إلا بعثت إليها في بيعته، فباع الناس جميعا، وسلموا، وأخرت المدينة بيعته، وقلت بيضته وأصله (2)، ومن لا أخافهم عليه وكان الذين أبوا البيعة منهم من كانوا أجدر أن يصله، ووإني لو علمت مكان أحد هو خير للمسلمين من يزيد لباعته له، فقام الحسين فقال: وإني لقد تركت من هو خير منه أبا وأما ونفسا، فقال معاوية: كأنك تريد نفسك ؟ فقال الحسين: نعم، أصلحك الله. فقال معاوية: إذا أخبرك، أما قولك: خير منه أما، فلعمري: أمك خير من أمه، ولو لم تكن إلا أنها امرأة من قريش لكان لنساء قريش فضلهم، فكيف وهي ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ثم فاطمة في دينها وسابقتها، فأملك لعمر الله خير من أمه، وأما أبوك فقد حاكم أباه إلى الله، ففضي لآبيه على أبيك. فقال الحسين: حسبك جهلك، آثرت العاجل على الآجل. فقال معاوية: أما ما ذكرت من أنك خير من يزيد نفسا فيزيد وإني خير لامة محمد منك. فقال الحسين: هذا هو الافك والزور، يزيد شارب الخمر، ومشتري اللهو خير مني ؟ فقال معاوية: مهلا عن شتم ابن عمك، فإنك لو ذكرت عنده بسوء لم يشتبك (3). ثم التفت معاوية إلى الناس وقال: أيها الناس، قد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض، ولم يستخلف أحدا، فرأى المسلمون أن يستخلفوا أبا بكر، وكانت بيعة هدى، فعمل بكتاب الله سنة نبيه، فلما حضرته الوفاة، رأى أن يستخلف عمر، فعمل عمر

(1) مدرة: القرية المبنية بالطين واللبن.

(2) في ابن الاعثم قلت هم أصله وقومه وعشيرته. (3) زيد في فتوح ابن الاعثم: إن علم مني

ما أعلمه منه فليقل فيما أقول فيه. (*)